التقاطب المكاني في وصايا الائمة عليهم السلام

أ.د هناء جواد عبد السادة
جامعة بابل كلية العلوم الانسانية
الباحثة ورود جبار محمد
مديرية تربية بابل

Spatial polarity in the commandments of the imams, peace be upon them

P.D . Hana Jawad Abdul Sada :
University of Babylon \College of Education For Human Sciences
Researcher . Worood Jabbar Muhammad :
Babil Education Directorate

Abstract

The human relationship in the place extends through roots that reach to the depths associated with his existence and occupy a large area of his life as he is the incubator for all the processes of communication and interaction with the other. With its opposite or intersecting then it gives the text different connotations and contributes to the delivery of the idea.

Key words / spatial polarity, the commandments of the imams, peace upon them

الملخص

تمتد علاقة الانسان في المكان عبر جذور تصل الى الاعماق تقترن بوجوده وتشغل حيز كبير من حياته فهو الحاضن لجميع عمليات التواصل والتفاعل مع الاخر ويتخذ المكان في وصايا الائمة عليهم السلام شكل ثنائيات متضادة متناسبة مع مضمون النص تدعو المتلقي الى التأمل والتفكير حول الصفات التي تتحد بها الاماكن مع ضدها او تتقاطع عندها فتمنح النص دلالات مختلفة وتسهم في ايصال الفكرة .

الكلمات المفتاحية : التقاطب المكاني ، وصايا الائمة عليهم السلام

المقدمة

تبرز أهمية المكان باعتباره أحد الأدوات التي تكشف لنا عن دلالة النّص بما يَحتويه من أبعاد تاريخية ونفسية ودينية واجتماعية ,والتي تُفسر الكثير من الظواهر وتساعد في إزالة الغموض. فارتبط الإنسان بالمكان وتفاعل وأقام معه علاقات إيجابية, ونفر من أماكن أخرى وحمل معه طابع سلبي عن بعضها الآخر.

فهذا التَّباين الشّعوري يُترجم احياناً بفعل أماكن ذات أشكال متنوعة ومسميات مختلفة. وجدناها حاضرة في الخطابات العامة والخاصة ولها دور في إيصال الفكرة إلى المتلقي.

أما دلالة التّقاطب اللغوية: قَطَبَ الشَّراب مَزَجه , والقَّطب الجمع بين شيئين .فلا تَخرج عن معنى الجَمع والمَزج .(1)

وتنوعت تسمياته وفقاً للاتجاهات والمذاهب حتى عُدَّ موازياً للطباق فيرى أبو هلال العسكري بأنه "الجَمع بين الشّيء وضِده ... مثل الجمع بين السَّواد والبياض ,والليل والنّهار ,والحرَّ والبَرد".(2)

واطلق عليه (التّضـاد) حيث أن "المَعنى يقوم على أسـاس اختلافِي ,وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلتهِ بضِـده ,وفقَ علاقة ثنائية متقابلة".(3)

وذكرها صبري حافظ ب(جدلية مكانية) فقال :"تتمركز مُعظم الجدليات المكانية حولَ جدلية أساسية هي جدلية المَفتوح والمُغلق وهي الجَدلية الأكثر تعقيداً ,لأن هُناك عدداً من درجاتِ الانفتاح و الانغلاق يتّزايد أو ينقص وفق قراءتنا لها أو تصورنا لمستوياتِ المعنى فيها". (4)

وعرفت أيضاً بالثّنائيات "زوجان .ويقال ثنائي على كل ما يكون ذا حَدين أو طَرفين أو وترَّين". (5)

فالتّقاطب المكاني "تقنية اجرائية أثبَتَت خُصـوبتها وأهميتها في الكشـفِ عن دلالةِ الكثير من الأعمالِ الأدبية التي تتعامل مع المكان تَعاملاً شاعرياً". (6)

ويرى (حسن بحراوي) أنَّ التّقاطبات تجمع بين قوى متعارضة لتشكل ثنائية ضدية تكون مُنسجمة مع المنطق ,ومع ما هو سائد في المجتمع . و التّقاطب ليسَ بالأمر الجديد فجذوره عند **ارسطو** في حديثه عن الأبعادِ الثّلاثة (الطول والعرض والارتفاع), وعند **باشلار** بجدليةِ الدّاخل والخَارج .(7)

وقدم لنا السّيميائي (يوري لوتمان) نظرية شاملة حول التّقاطبات المكانية ,فالمكان عنده "مجموعة من الأشياء المتجانسـة من الظواهرِ أو الحالات أو الوظائف أو الأشـكال المُتغيرة ,تقوم بينها علاقة شَـبيهة بالعلاقاتِ المكانية المألوفة العادية مثل (الاتصـال ,المسـافة) وتعتبر لغة العلاقات المكانية وَسيلة من الوسـائل الأسـاسـية لوصـف الواقع فمفاهيم (يمين ,يسـار)(الأسـفل ,الأعلى)(البعيد ,القريب) (المُطلق, المحدد)(المُتصـل ,المجزأ) تُسـتخدم لبنات في بناءِ نماذج ثقافية لا تنطوي على محتوى مكاني ".(8)

فالعلاقات المكانية من الوسـائلِ المُهمة للتعرف على الواقعِ فيعتبر (لوتمان)"أن نماذج العالم الاجتماعية والدّينية والسّياسية والأخلاقية العامة ساعدت الإنسان على إضفاءِ معنى على الحياة التي تحيط به, وهذه النّماذج تنطوي دوماً على سمات مكانية ,وقد تأخذ هذه السّمات شكل تضاد ثنائي السّماء والأرض أو العالم السّفلي والعالم العلوي, وتارة تأخذ تَدرج هَرمي سياسي واجتماعي يؤكد على تضادِ السّمات التي تقع في قمةِ الهرم الرّفيع عن تلكَ التي تقع أسفل الهرم الوضيع".(9)

فتمثل الاتجاهات المكانية وفقاً لمفهوم لوتمان على أنها رمزاً للطبقات الاجتماعية ,فالأعلى للرفيع والأسـفل يرمز به للوضيع ,واحياناً تُشير للحياة بالاتجاه الأعلى والأسفل للموت .

الأقوال السّـابقة تقتضـي وجود طرفين مع وجود رابط بينهما لتتشـكل وفق هذه الثّنائيات نظرة فلسـفية .فلا يكون الجمع بين الطرفين سَـطحياً ولا ينفي أحدهما الآخر, بل تَجمعهم علاقة تواز فيكمل أحدهما الآخر .فحقيقة الوجود قائمة على تقابل بينَ طرفين لكُل منهما قانونه الخاص.(10)

وبذلك يكون التّقاطب مع اختلاف مسمياته الثّنائيات التي تتجسد داخل النّص لتمنحه دلالات مختلفة.

واحتوى القرآن الكريم على مجموعة من الثّنائياتِ المزدوجة واختلفت فيه التّقاطبات المكانية من حيثِ الوظيفة والموقع والأبعاد ,وجاءت بصورة مكملة للأخرى لتظهر جمالية النّص المُعجز وفقاً لما يقتضيه السّياق و يتطلبه الموقف. فأماكن ترغيب المؤمنين اختلفت عن أماكن التّرهيب قال تعالى { إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ }.(11)

واشتملت أحاديث الرّسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) على تقاطبات مكانية كقوله (صلى الله عليه واله وسلم)"عليك بتقوى الله فإنَّها جماع كلّ خير وعليك بالجهاد في سبيلِ الله فإنَّها رُهبانية المسلمين ,وعليك بذكرِ الله وتلاوة كتابه فإنَّه نور لكَ في الأرض وذكر لك في السّماء".(12)

وكثيراً ما ورد التّقاطب المكاني في الشّعر والقصص والرّوايات ,وحمل دلالات متنوعة وفقاً لموضوع النّص, أما التّقاطب المكاني في أدب وصايا الأئمة (عليهم السلام) فاشتمل ثنائيات لأماكن مختلفة ومتباعدة داخل نصوص الوصايا تبعاً للمضمون و منها :

ثنائية الأعلى والأسفل

يعيش الإنسان وَسط مجموعة من الثّنائيات ليسَت بَعيدة عنه بل إنَّها تقع في أغوارِ نفسه. فأولها ثنائية الموت والحياة وما يحيطه من نور وظلمة ,وما يشعر به من خوف أو طمأنينة فكلها تترك أثر في ذات الإنسان .

ويرى الجرجاني بأن عمل الثّنائيات هو " يعمل عَمل السّحر في تأليفِ المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرقِ والمغرب ... ويُريكَ التّئام عَين الأضداد فيأتيك بالحياةِ والموت مجموعين والماءِ والنّار مجتمعين". (13)

فالأعلى كل ما هو فوقنا والأسفل كل شيء موجود تحتنا "إن تطابق العلو مع البُعد وتميز الانخفاض بعكس ذلك يجعلان من العلو الاتجاه نحو مكان يزداد اتساعاً ,فكلما ارتفعنا كلما أصبح المكان لانهائياً ,وكلما انخفضنا كلما ضاقَ المكان ,ونتيجة لذلك ينتهي المكان تماماً عندَ النّقطة التي تنتهي عنده منطقة الانخفاض (...) ويصبح التّضاد عالي – منخفض ".(14)

وتمثل (السّماء /الأرض) واحده من هذه الثّنائيات الواردة في وصايا الأئمة (عليهم السلام).أما دلالتها فهي :

السّماء

تعد من الأماكن المُطلقة العليا التي لا تحدها نهاية فهي من دلائل عظمة الله في الخلق بجعلها سقف بلا عمد ,وتَزينها بالكواكبِ والنّجوم التي اعتمدها الإنسان في تنظيمِ بعض شؤونه.

وتحمل لفظة السّماء جميع ما تَتضمنه من فضاءاتٍ ثانوية (السّحاب ,الشّمس , القمر , النّجوم) وبما امتزج لونها من نور وظلمة الكثير من الدّلالات الماثلة للحس, وتوحي إلى عناصر ومعاني مختلفة ,كالسّمو والرّفعة وكل ما تطمح الذّات الإنسانية في الوصول إليه من المنازلِ الرّفيعة .لتكون رمزاً لكل ما هو سام ومُميز ولكل طموح لا ينتهي. وبما امتازت به من أفق رَحب ليتشكل في لفظها مادة غزيرة من الإيحاءاتِ والصّور المُتباينة كتباينها في نفوس ناظريها. (15)

فمن وصية الإمام الصّادق (عليه السلام) لعبد الله بن جُندب قال :"**قال الله جل وعز في بعض ما أوحيَّ إنَّما أقبل الصّلاة ممن يتواضع لعظَمتي ويكف نفسه عن الشّهواتِ من أجلي ويقطع نهارهُ بذكري ولا يتعظم على خَلقي ويُطعم الجائع ويكسو العاري ويَرحم المصاب ويُؤوي الغريب فذلك يُشرق نُوره مثل الشّمس اجعل له في الظلمةِ نوراً وفي الجهالة حلماً أكلؤه بعزتي و استحفظه ملائكتي ...**". (16)

يذكر الإمام (عليه السلام) مجموعة من الأعمال التي ترفع منزلة الإنسان عند الله حتى يشبه نور الإيمان بإشراق الشّمس ويحول له الله جزاء عمله الظلمة إلى ضياء ,وتحفظه الملائكة من كل سوء . تضمنت الوصية مجموعة من الألفاظ التي توحي بالعلو والرّفعة (كالشّمس والإشراق والنّور والملائكة).

ويقول قس بن ساعدة " إنَّ في السّماء لخبراً وإنَّ في الأرض لعبراً".(17)

فالسّماء تَستبطن دلالة المكان المُرتفع وتشمل جميع إشاراتهِ الظاهرة والمُبطنة . واحياناً يقصد بها السُّلطة المُطلقة لتكون الأرض مكاناً للتطبيق والتّنفيذِ لتلك السّلطة. (18)

"فالسّماء مكان لامتناهي فلا يكون خاضع لسلطة أحد فيحدث تقابل حيث أنّ السّماء سُلطة مُطلقة خارج سُلطة المُخاطب والأرض سلطة تحقق المقال". (19)

كقوله تعالى{وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ} .(20)

ومما جاء في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم "يا هشام ' **قال الله عز وجل وعزتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلتُ الغنى في نفسهِ وهمه في آخرته وكففت عليه ضيعته وضمنت السّماوات والأرض رزقه وكنت له من وراءِ تجارة كل تاجر**". (21)

كثيرا ما ترد ثنائية (السّماء والارض) في النّصوص مع أنَهما يَدلان على أماكن مختلفة متباعدة مما يدعو السّامع إلى التّأمل والتّفكر في الرّابط الذي يجمعهما فكلتاهما من دلائل الإعجاز والقدرة على الخلق. فالأرض موضع خلق الإنسان ونشأته في الحياة الدّنيا حتى موته, والسّماء مصدر لاستمرار تلك الحياة على الأرض بنزول المطر وإحياء الأرض وما فيها. والوصية ذكرت المكانين مجتمعين للدلالة على سعة الرزق و اتساع حجمه ليشمل (السّماوات) بجميع طبقاتها و(الارض) على امتدادها وسعتها.

الأرض

مكان مطلق يتفاعل معه الإنسان فيؤثر به ويؤثر فيه . يو صف بالثّبات و الاستقرار هيأ الله به جميع سُبل الحياة ,ووفر له فيه كلّ ما يحتاجه قال تعالى {وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ } .(22)

ولفظة (الأرض) تحمل دلالة شمولية عن كل ما فيها وعليها من فضاءات ثانوية تتضمنها (بحار /سهول /جبال / وديان) فيتراوح الإنسان في تفاعله معها بين الإيجاب والسلب .

"إنَّ علاقة الانسـان بالمكان قديمة وجدت بنزولهِ إلى الأرض حيث لجأ إلى الكهوف الطبيعية ,والأشـجار التي تحميه من الحَر والمَطر". (23)

وتمتاز الأرض بأن الصّور المتكونة عنها المذكورة في كثير من المواضع صور حقيقية مرئية للسامع ,فكثيرا ما وصف الأدباء والشّعراء الكثير من بقاعها .

" سطح الأرض هو المكان المعتاد الذي تجري فيه الحياة اليومية ويكون على علاقة ضدية مع العلو ".(24)

وكما تحمل الأرض دلالة المكان المُنخفض وذلك من خلال ما ذكر في كتاب الله {قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ }.(25) فلفظة (هبوط) توحي بالانتقال من مكان مرتفع إلى مكان منخفض .

وجاء في وصـية الأمام الكاظم (عليه السـلام) لهشـام بن الحكم عن آبائه عن علي بن الحسين انه قال: "**إنَّ جميع ما طلعت عليه الشّـمس في مشـارق الأرض ومغاربها , بحرها وبرها ,وسـهلها وجبلها عند ولي من أولياءِ الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال. ثم قال (عليه السـلام) أو لا حُرُ يدع هذه اللماظة لأهلها – يعني الدّنيا – فليس لأنفسـكم ثَمن إلى الجنةِ فلا تبيعوها بغيرها فإنَّه من رَضـي من الله بالدّنيا فقدَ رضـي بالخسيس**".(26)

ذكر الإمام (عليه السلام) في وصيته مجموعة من الثّنائيات (المَشرق والمَغرب / البَحر والبَر/ السّهل والجَبل) وكلها مسـميات تقع على الأرض قد لا تكون الغاية من ذكرها التّذكير بالحيز الجغرافي لها فقط, واختلافها فيما بينها من ناحيةِ الاتسـاع والارتفاع والعمق ,بل ما تضـم في طياتها من خيرات . فالتّضـاد له دور في الرّصـد والتّحليل فجميعها لا يَعدل عند أولياء الله بشيء مُقابل الجنة. فالإمام يضرب الامثله لتقريب الصّورة للأذهان عبر ثنائيات معلومة للمتلقي.

وترى سيزا قاسم "إنَّ النّص ليس شيئاً جامداً يحتوي على دلالة واحدة يمكن التّوصل إليها وكشفها من خلال عملية التّأويل والتّفسير, أو على عدد من الدّلالات يستطيع القارئ أن يختار من بينها ما يناسبه ,بل النّص ممتد دائماً فهو كيان حي يستجيب للقارئ ويتفاعل معه ".(27)

ومن وصـية الإمام الكاظم (عليه السـلام) لهشـام بن الحكم "**يا هشـام 'من تعظَّم في نفسـه لعنتهُ ملائكةُ السّماءِ وملائكةُ الأرض ,ومن تكبَّر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضادَّ الله**".(28)

في الوصـية نهي عن التّكبر وبيان لعاقبته باللعن من قبل الملائكة في السّـماء والأرض ,فالغاية من ذكر الأماكن المتقاطبة لدلالتها على الشّمول لجميع الملائكة في تلك الأماكن المتباعده .

وكما أنَ وجود الثّنائيات الضّـدية "يعني وجود نسـق ظاهر وآخر مُضـمَر يُسـتنتج اسـتنتاجاً ولا يتعلق أمر الثّنائيات الضّـدية بظهور طرف وتخفي آخر وراءه, بل يتعلق بمتلقي هذه الثّنائية الذي يؤولها ويسـتقبلها بناء على تضاد الطّرفين ".(29)

وقد أطلق **يونغ** على هذه العملية "التّأليف الأعلى للمتضادات فرأى أنَّ جميع الرّموز والصّور النّمطية البدائية التي تتجسد فيها العملية أدوات للوظيفة التّجاوزية ,أي أدوات لتوحيد الزّوجين المُختلفين للتعارضات النّفسية المُتقابلة في تأليف يتجاوز الضّدين المُتقابلين فعَن طريق تفاعل طرفي الثّنائية يتولد لدى المتلقي أثر خاص ,ونظرة فلسفية خاصة للحياة والكون". (30)

ومن وصية الإمام الصّادق (عليه السلام) لمحمد بن النعمان "**يا أبا جعفر مالكم والنّاس ؟ كفوا عن النّاس ولا تدعوا أحد إلى هذا الأمر فو الله لو أن أهل السّماوات والأرض اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يُريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلوه...**". (31)

في الوصية تقاطب المكاني يجمع (السّماء /الأرض) يدعو السّامع الى تحرير ما يكتنزه في مخيلته من صور ذهنية للمكانين وما يمتلك من معلومات حول اختلافهما بالصّفات والسّمات والتي تختلف من شخص لآخر ليدرك من خلالهما الغاية التي طابق الإمام (عليه السلام) بين الموضعين في نص واحد فهو امر قد يكون محال ان يجتمع جميع سكان تلك الأماكن على اختلافهم وتباعد اماكنهم إلا إذا شاء الله, ومع ذلك لا يستطيعوا ضلالة شخص كتب الله له الهداية .

وتندرج ضمن ثنائية الأعلى والأسفل (فوق / دون) ومنها :

وصية الإمام الصّادق (عليه السلام) لعمرو بن هلال الثقفي "**اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنَّه لا ينفع اجتهاد ولا ورع فيه ,وانظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فلكثير ما قال الله لرسولهِ (صلى الله عليه واله وسلم)** (وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ (32) **وإن نازعتك نفسك إلى شيء من ذلك فاعلم أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان قوته الشّعير وحلواه التّمر إذا وجده ووقوده السّعف, وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فإن النّاس لم يصابوا بمثله ابداً** ".(33)

يوصي الإمام الصّادق(عليه السلام) بالكفِ عن المحارمِ واجتناب الشّبهات ويحث على القناعة والرّضا باليسيرِ من العطاءِ, والاكتفاء بما رزق الله وقدَّر قلَّ أو كثر لما لها من أثر في تحررِ الإنسان من عبوديةِ المادة والحرص فيترفع عن الدّنايا ,ويعلمه الإمام درساً مهم في التّربية الرّوحية فيطلب منه الإمام النّظر إلى من هو أدنى وأقل ليستشعر الإنسان قيمة ما وهبهُ الله ومَنَّ عليه فيزداد شكراً. ولا ينظر إلى من هو أعلى وأكثر فيجد أن ما عنده قليل . لذلك نجد أن هذه اليقظة الرّوحية متباينة بين الأشخاص فإذا ما احتل الطّمع قلب الإنسان حرم من سعادة الدّارين ويضرب له مثال بخير الأنام رسولنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ويَجعل منهُ خير قدوة لما امتاز به من قناعة ورضا.

تضمنت الوصية أبعاد مكانية متضادة (**فوق / دون**) ساعدت في إيصال الفكرة إلى المتلقي مع ما تحمله هذه الألفاظ من دلالة على الأعلى والأسفل الغاية منها أخذ العبرة والقناعة بالاستعانة ببعض الامثلة حول قناعة الرّسول (صلى الله عليه واله وسلم).

أما دلالتهما المعجمية:

(الفوق) ضد تحت. وفي قوله تعالى {۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا }.(34) قيل: ما فوقها ما هو اعظم منها كالذباب وغيره ويقال : فاق الرجل اصحابه .أي علاهم بالشّرف .(35)

(الدون) ضد الفوق ,ويقال هذا دون ذاك أي أقرب منه .(36)

وفي الوصايا ألفاظ موحية بالمكان اتسمت بدلالة عائمة مطلقة يمكن تسميتها بالمكان غير المُحدد فلا تنتمي لمكان بعينه لكنها تحمل صفة المكان ومنها الاتجاهات فمرة نجدها متفرقة في الوصايا وأخرى على شكل ثنائيات تضم مجموعة من الأبعاد المكانية المتقاطبة .

"إن التّقاطبات تعود إلى مفهوم الأبعاد الفيزيائية الثلاثة مثل التّعارض بين اليمين واليسار, وبين الأعلى والأسفل, وبين الأمام والخلف ,وتلك المشتقة من مفاهيم المسافة والحجم (كالقريب والبعيد / الصغير والكبير)... والمستمدة من الإضاءة (كالأبيض والاسود / المضيء والمظلم) وبذلك تعود التّقاطبات في الأصل إلى مجال الهندسة والفيزياء ولا تنحصر في الأدب ".(37)

تتسم هذه الاتجاهات بدلالة مطلقة فلا تنتمي إلى مكان محدد فهي مطلقة لكنها تحمل صفة للمكان الذي يتناسب مع السّياق .

عن الإمام الرّضا (عليه السلام) يوصي بزيارته ويُبين جَزاء تلك الزّيارة بقوله : "**من زارني على بُعدِ داري آتَيتهُ يوم القيامة في ثلاثةِ مواطن حتى أُخلصهُ من أهوالها, إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً, وعند الصّراط, وعند الميزان**".(38)

ينقل لنا الإمام صورة من المكان الغيبي حيث تطاير صحائف الأعمال والتي تتضمن جميع أعمال الإنسان في حياته من خير أو شر, وتطاير الكتب بصورة متفرقه ولجهات مختلفة اشارة إلى مكان الجزاء .فالوصية أشارت إلى (**اليمين / الشّمال**) وهي أبعاد مختلفة في الجهات والصّفات ,فاليمين يَدل على اليُمن والخير الكثير وفيه إشارة إلى الجنّة كما وصف في كتاب الله .قال تعالى {وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ } .(39)

أما الشّمال قال تعالى {وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥} .(40) فالشّمال إشارة إلى مكان جزاؤه وهو لهيب النّار وحرارتها.(41)

ويرى حسن نجمي بأن "التّقاطبات في حد ذاتها ليست إلا ترتيب للأشياء الأدبية التي يبقى جوهرها أعمق من مجرد ترتيب وتقابل".(42)

ومن وصية الإمام الصّادق (عليه السلام) لعبد الله بن جُندب "**يا ابن جُندب لا تتصدق على أعين النّاس ليزكوك فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك فإن الذي تتصدق به سراً يجزيك علانية على رؤوس الاشهاد ...**" (43)

يعلمنا الإمام طريقة الإنفاق الأمثل بأن يكون سراً وكتمان الأمر قد يصل إلى الحد الذي لا تعلم اليد اليمنى ما انفقت اليد الشّمال رغم قربها منها لنكسب أجر صدقة السّر العظيم. فتوظيف الاتجاهات لتقريب الصّورة إلى المتلقي .

الخاتمة

- الائمة (عليهم السلام) وظفوا في وصاياهم مجموعة من الثنائيات القريبة من محيط الانسان لما لها من دور مهم في تعزيز دلالة النص.
- اشار الائمة (عليهم السلام) إلى اتجاهات مختلفة تتناسب مع سياق القول تدعو المتلقي الى التأمل والتفكير حول الصفات التي تتحد بها الاماكن مع ضدها او تتقاطع عندها فتمنح النص دلالات مختلفة وتسهم في ايصال الفكرة .

هوامش البحث

1- ابن منظور ، لسان العرب : 133.
2- ابو هلال العسكري ، الصناعتين : 205.
3- فيصل الاحمر ، معجم السيميائيات : 299.
4- صبري حافظ ، الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية : 169.
5- رقية رستم ملكي ,التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة : 58.
6- بسام مخلف الحمداني وجعفر احمد ، التقاطبات المكانية في قصص هواتف الليل (بشرى البستاني) : 278.
7- ينظر :حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية): 33-34 .
8- يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني : 69 .
9- المصدر السابق : 69- 70.
10- ينظر: سمر الديوب ، الثّنائيات الضّدية بحث في المصطلح ودلالته : 16.
11- سورة محمد :12.
12- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم : 2/ 321.
13- عبد القاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة : 32.
14- مشكلة المكان الفني : 73.
15- ينظر: ضحى ثامر محمد الجبوري ، المكان في الشعر الفاطمي : 54.
16- علي احمد الميانجي ، مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) : 212.
17- احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب : 38.

18- ينظر: حميد فرج عيسى ، دلالة المكان في النثر العربي القديم (خطبة الامام السجاد (ع) في الشام انموذجاً): 315 .

19- غاستون باشلار ، جماليات المكان : 61.

20- سورة البقرة : 164.

21- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع): 494.

22- سورة الرعد :3.

23- ينظر: حمادة تركي زعيتر ، جماليات المكان في الشعر العباسي : 58.

24- مشكلة المكان الفني : 75.

25- سورة الاعراف : 24.

26- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) :491.

27- ادوار الخراط ، سيزا قاسم ، بويطيقيا العمل المفتوح – قراءة في اختناقات العشق والصباح : 231.

28- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) : 496.

29- الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته :35.

30- بولاند جاكوبي ، علم النفس اليونغي : 194.

31- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع): 221.

32- سورة التوبة : 85 .

33- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) : 225.

34- سورة البقرة :26.

35- لسان العرب : 4/ 132,و محمد بن عبد القادر الرازي ، مختار الصّحاح : 515.

36- مختار الصحاح : 216.

37- محمد عزام ، شعرية الخطاب السردي : 69.

38- محمد بن حمد الحسن العاملي , المواعظ العددية :196.

39- سورة الواقعة : 90-91.

40- سورة الحاقة : 26.

41- ينظر: ابو اسحاق الزجاج ، معاني القرآن واعرابه : 1/ 175.

42- حسن نجمي ، شعرية الفضاء المُتخيل والهوية في الرواية العربية : 57.

43- مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) : 211.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1- عبد القاهر الجرجاني ، اســـرار البلاغة , تحقيق :محمود محمد شـــاكر ، ط1، مطبعة المدني , القاهرة ,1991 م .

2- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضـاء الزمن الشـخصـية), ط1 , المركز الثقافي العربي ,بيروت ,1990م .

3- ادوار الخراط ، سيزا قاسم ، بويطيقيا العمل المفتوح – قراءة في اختناقات العشق والصباح , مجلة فصول ,المجلد الرابع ,العدد 2 , 1984م .

4- رقية رســتم ملكي, التقاطب المكاني في قصـــائد محمود درويش الحديثة,مجلة دراســات في اللغة العربية وآدابها ,العدد التاسع ,2012 م.

5- بسـام مخلف الحمداني وجعفر احمد ، التقاطبات المكانية في قصـص هواتف الليل (بشـرى البسـتاني) , مجلة اداب الرافدين , العدد 69 ,2014 م .

6- سمر الديوب ، الثّنائيات االضّدية بحث في المصطلح ودلالته , ط1 , المركز الإسلامي للدراسات العتبة العباسية ، كربلاء , 2017 م .

7- غاستون باشـلار ، جماليات المكان , ط1 , ترجمة : غالب هلسا , المؤسسة الجامعية للنشر , بيروت – لبنان ، 1984م .

8- حمادة تركي زعيتر ، جماليات المكان في الشـعر العباسـي , ط1 , دار الرضـوان للنشـر , عمان الاردن ,2013م .

9- احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب , ط1 ,مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ,القاهرة ,1933م.

10- صبري حافظ ، الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية , مجلة فصول ، العدد 4 ,1984 م.

11- حميد فرج عيسـى ، دلالة المكان في النثر العربي القديم (خطبة الامام السـجاد (ع) في الشـام انموذجاً, مجلة آداب ذي قار , العدد 15 ,2015م .

12- محمد عزام ، شعرية الخطاب السردي , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق – سوريا ,2009م .

13- حسن نجمي ، شعرية الفضاء المُتخيل والهوية في الرواية العربية , ط1 ,المركز الثقافي العربي ,بيروت– لبنان ,2000 م .

14- مســلم بن الحجاج النيســابوري ، صــحيح مســلم ، تحقيق :نظر بن محمد , ط 1، دار طيبة ,الرّياض ,2006م .

15- ابو هلال العسكري ، الصـناعتين , تحقيق :علي محمد البحراوي ومحمود أبو الفضـل ابراهيم ,دار إحياء الكتب العربية , القاهرة ,1952م .

16- بولاند جاكوبي ، علم النفس اليونغي , ترجمة :ندرة يازجي , ط1، الأهالي للطباعة والنشـــر , دمشـــق ,1993 م.

17- ابن منظور ، لسان العرب , تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي , ط3، دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان ,1999م .

18- محمد بن عبد القادر الرازي ، مختار الصّحاح , ط1 , دار الكتاب العربي , بيروت لبنان ,1981م.

19- يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني , ترجمة: سيزا قاسم , ط2، عيون للمقالات , الدّار البيضاء ,المغرب ,1988م .

20- ابو اســـحاق الزجاج ، معاني القرآن واعرابه , تحقيق: عبد الجليل شـــلبي ,ط1 ، دار الحديث ,القاهرة ,1994م .

21- فيصل الاحمر ، معجم السيميائيات , ط1 , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت– لبنان , 2010 م.

22- علي احمد الميانجي ، مكاتيب الائمة جعفر الصادق وموسى الكاظم (ع) , تحقيق :مجتبى فرجي ، ط3, دار الحديث للنشر , قم ,1427هـ.

23- ضحى ثامر محمد الجبوري ، المكان في الشعر الفاطمي , ط1 , دار الفراهيدي – بغداد ,2016م .

24- محمد بن حمد الحسن العاملي , المواعظ العددية ، ط1، منشورات طليعة النور ,قم ,1384هـ.